وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿ ١٢ ﴾
وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿ ١٣ ﴾
وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿ ١٤ ﴾
وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ ١٥ ﴾
يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾
يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿ ١٧ ﴾
وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿ ١٨ ﴾
وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿ ١٩ ﴾

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ للَّهِ﴾.

معناه لأن تشكر للَّه، ويجوز أن تكون «أَنْ» مُفَسِّرةً، فيكون المعنى أيِ اشْكُرْ للَّه تبارك وتعالى: وتأويل «أن اشكر للَّه» قُلنَا له: أشكر للَّه على ما آتاك.

وقد اختلف في التفسير في لقمانَ فقيل: كان نبياً، وقيل: كان حكيماً، وقيل كان رَجُلاً صَالِحاً، وقيل: كان حبشياً غليظ المَشَافِرِ مُشَقَّقَ الرِّجْلَيْنِ ولكنَّ اللَّهَ آتاهُ الحكمةَ، فلسنا نشك أنه كانَ حكيماً لقول اللَّه عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ﴾. وقيل كان نَجَّاراً وقيل كان خيَّاطاً، وقيل كان رَاعِياً.

وَرُوِيَ في التفسير أَنّ إنساناً وقف عليه وهو في مجلسه فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ الَّذِي كُنْتَ تَرْعَى مَعِيَ في موضع كذا وكذا، قال: بلى، قال فما بلغ بكَ ما أَرَى؟ فقال: صِدْقُ الحَدِيثِ والصّمْتُ عَمَّا لا يعنيني.

وقوله: ﴿[وَإِذْ] قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾.

---

(١) سورة النبأ الآية ٦ و٧.

موضع «إذْ» نَصْبٌ بقوله:﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ أي ولقد آتينا لقمان الحكمة إذ قال، لأن هذه المَوْعِظَةَ حكمةٌ.

وقوله:﴿إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

يعني أن اللَّه هُوَ المحيي المميتُ الرّازِق المُنْعِمُ وحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فإذا أَشْرَكَ به أَحَدٌ غيره فذلك أعظَمُ الظُّلْمِ لأنه جَعَل النِّعْمَةَ لِغَير رَبِّهَا، وَأَصْلُ الظُّلْمِ في اللغة وضع الشيء في غير مَوْضِعِه. وقد بيّنَا ذَلِكَ فِيمَا سَلَفَ من الكِتَابِ.

وقوله عز وجل:﴿وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ، وَفِصَالُه فِي عَامَيْنِ أَنِ آشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾.

جاء في التفسير وهناً على وَهْنٍ، ضَعْفاً على ضَعْفٍ، أي لَزِمَهَا لحملها إياه أن ضَعُفَتْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ. وموضع «أَنْ» نَصْبٌ بوصَّيْنَا. المعنى وصَينا الانسان أن اشْكُره لي ولوالديك، أَيْ وَصَّيْنَاه بشكرنا وَبِشُكْرِ والديه.

وقوله عز وجل :﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾.

يُرْوَى أَنَّ سَعْدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ ذكر أن هذه الآية نَزَلَتْ بسببه، وذلك أنه كان أَسْلَمَ فحَلَفَتْ أُمُّه أَلَّا تأكُلَ طعاماً، ولا تشرب شراباً حتى يَرْتَدَّ إلَى الكُفْرِ، فمكثت ثلاثاً لا تطْعَمُ ولا تَشْرَبُ حتى شَجَرُوا فاها - أي فتحوه - بعِودٍ. حتى أكلت وشربت، وَيُرْوى أنه قال: لو كانت لها سَبْعُونَ نَفْساً فخرجت لما ارتْدَدْتُ عَنِ الاسلام.

وقوله عز وجل:﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾.

يقال: صَاحَبْتُه مُصَاحَباً وَمُصاحَبَةً. ومعنى المعروف ما يستحسن من الأفعال.

﴿واتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إلَيَّ﴾.

أي اتّبِعْ سَبِيل مَنْ رَجَع إليَّ.

وقوله: ﴿يَا بُنَيَّ إنَّها إنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾.

وتقرأ مثقالُ حَبةٍ. الآية إلى قوله ﴿لطيف خبير﴾[1] أي لطيف في استخراجها خبير بمكانها. ويقال في صخرة، أي في الصخرة التي تحت الأرض.

ويروى أن ابن لقمان سأل لقمانَ فقال: أَرَأَيْتَ الحَبَّةَ تَكُونَ في مَقْلِ البَحرِ[2]، أي في مغاص البحر أَيَعْلَمُهَا اللَّه. يقال مَقَلَ يَمْقُل إذَا غَاصَ، فَأَعْلَمَهُ أنَّ اللَّه ـ عز وجل ـ يعلم الحَبَّةَ حيث كانت، وفي أخفى المواضع، لأن الحبَّة في الصخرة أخفى من الماء، ثم أعلمه أَنَّهَا حيث كانت يَعْلَمُها بلُطْفِه ـ عز وجل ـ وخِبْرَتِه.

وهذا مثلٌ لأعمال العِبَادِ أَنَّ اللَّه يأتي بأعمالهم يومَ القيامة فمن يعمل مثقالَ ذرَّة خيراً يرَهُ، ومن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرّةٍ شراً يَره.

فأما رفع «مثقال» مع تأنيث «تك» فلأن مِثْقَالَ حبة من خردل راجع إلى معنى خَرْدَلَةٍ، فهو بمنزلة إن تك حَبَّةٌ من خردل. ومن قرأ: إنها إن تك مثقالَ حبة ـ بالنصب ـ فعلى معنى انّ الّتي سَألْتني عنها إن تك

---

(١) تمام الآية: ﴿يا بني إنها إن تَكُ مثقال حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ فَتَكُنْ في صَخْرةٍ أَوْ فِي السَّمَواتِ أَو في الأَرْضِ يَأتِ بِهَا اللَّهُ إنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

(٢) في غوصه وأعماقه

مثقال حبة، وعلى معنى أنَّ فَعْلَةَ الانسان وإن صَغُرَتْ يأت اللَّه بها، ويجوز أنها إن تك بالتاء مثقال حبة من خردل، على معنى انَّ القصة كما تقول[1]: انها هند قائمةٌ، ولو قُلْتَ انها زيد قائم لجاز، إلَّا أن النحويين يختارون ذلك مَعَ المُذَكَّرِ، ويجيزون مع المؤنث التأنيث والتذكير، يقولون: انَّهُ هِنْدٌ قَائِمَةٌ، وانها أمة اللَّه قائمة. فيجيزون الوَجْهَيْن. فأما انها إن تَكُ مثقَالَ حَبَّةٍ من خردل عند من لا يجيز «إنَّها زَيْدٌ قَائِمٌ»، فيجوز عنده هذا لأن مَعْنَاه التأنيث بِرَدّ «ما» إلى الحبَّةِ من الخردل.

وقوله تعالى:﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾.

ويقرأ تُصَاعِرُ، ويجوز في العربية: ولا تُصْعِرْ، ولا أعلم أحَداً قرأ بها، فإذا لم ترو فلا تقرأ بها، ومعناه لا تُعْرِضْ عن الناس تَكَبُّراً، يقال أصاب البعيرَ صَعَرٌ وصَيَدٌ إذا أَصَابه دَاءٌ فلوى منه عُنُقَهُ، فيقال للمتكبر فيه صَعَرٌ، وفيه صَيَدٌ، فأما تُصَعِّر فعلى وجه المُبَالَغَة، ويصاعر جاء على معنى يُفَاعِل، كأنك تُعَارِضُهُمْ بِوَجْهِك. ومعنى تُصْعِرْ تلزم خَدَّك الصَّعَرَ، لأنه لا داء بالانسان أَدْوَأَ من الكِبْرِ.

والمعنى في الثلاثة هذا، المعنى، إلَّا أن تُصَعِّرْ وَتُصَاعِرْ أَبْلَغُ [من تُصْعِرْ].

وقوله:﴿وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾.

أي لا تَمْشِ[2] مُتَبَخْتِراً مُخْتَالاً.

وقوله عز وجل: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾.

---

(١) أي ان الضمير في إنها إن تك ـ ضمير الشأن والحالة.

(٢) في الأصل: لا تمشي.

معنى اغْضُض انقص، ومن ذلك غضضت بَصَرِي، وَفُلَانٌ يَغُضّ بَصَرَهُ من فُلَانٍ أي يتنقَصُّهُ.

ومعنى: ﴿أَنْكَرُ الأَصْوَاتِ﴾، أقبح الأصوات، يقال: أَتَانَا فُلانٌ بوجه مُنكَر الخِلْقَةِ، أي قبيح.

---

(١) ما يستنبتونه ويثمرونه من النبات.